

قائد تاريخي وكلمة حق

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

إن الثورة الحضارية الراضة للهيمنة السورية ولحكم الدمى، المجاهرة بالحقيقة الهادفة لاستعادة السيادة والاستقلال والحريات، معطوفة على صحوه الضمائر والعودة الجارفة إلى الجذور والينابيع اللبانية الوطنية الأصيلة التي يشهدها لبنان حالياً، والتي أخذت منحاً شمولياً مع صدور بيان المطارنة الموارنة التاريخي في ٢٠/٩/٢٠٠٠، إن هذه الثورة وكل ما رافقها من مراجعات للمواقف من قبل عدد كبير من المراجع الدينية والزمنية هي بالواقع ميدالية شهادة عرفان بالجميل تعلق على صدر دولة الرئيس العماد ميشال عون الذي كان صوته منذ العام ١٩٨٨ وما زال كصوت يوحنا الصارخ في البرية محذراً الجميع من عواقب ما يتم فرضه سورياً على لبنان وشعبه.

على مدى ١٢ سنة وقف ميشال عون العسكري والسياسي والقائد والإنسان وقفة القيادة الشجعان التاريخيين الواثقين من طروحاتهم غير آبه بكل المضايقات والتهديدات والتضحيات، وما أكثرها. وقف مع مؤيديه المخلصين في مواجهة غير متكافئة مع قوى محلية وإقليمية ودولية ومافياوية أرادت للبنان أن يبقى ساحة لحروب الآخرين ووكراً للإرهاب ودولة مفرغة من كل مقوماتها. وقف مدافعاً عن الشعب العظيم العنيد وعن حقوقه في حياة كريمة رافضاً المساومة على الثوابت الوطنية أو التنازل عن سيادة واستقلال الوطن أو المتاجرة بدماء الشهداء الذين سقوا تراب لبنان المقدس لتبقى الرؤوس مرفوعة والكرامات مصادنة.

إن كلمة الحق يجب أن تقال علنية حتى ولو كان قائلها هو من محبي العماد ومؤيدي خطه الوطني والأخلاقي والإنساني لأن ذاكرة البعض ماحلة وخصوصاً الذين يغيرون ولاءاتهم ومواقفهم الحزبية المفصلة على مفاصلهم وأهوائهم، كما يغيرون ملابسهم.

إن المنتصر الأول في ثورة لبنان الحالية هو العماد ميشال عون وأعضاء حكومته الانتقالية الشرعية اللواء ادغار معلوف واللواء عصام أبو جمرة ومعهم كل فرد من أفراد التيار الوطني الحر ومؤيديه، وكل لبناني آمن بأن الحق يعلى ولا يعلى عليه ورفض السير وراء السراب السوري والمروجين له. إننا لا نقول هذا الكلام للانتفاص من وطنية أحد من رجال الدين والسياسة المخلصين للقضية، بل لأن الحقيقة تفرض علينا تسمية الأشياء بأسمائها للحفاظ على المواقف والوقائع التاريخية بهدف إعطاء كل ذي حق حقه.

وهنا لا بد من توضيح أمر مهم هو أن حكومة العماد عون لم ترفض اتفاق الطائف إلا بعد أن قيل لها سورياً وأميركياً وعربياً وإقليمياً وعلى أعلى المستويات بأنه لا يحق للبنان أن يضيف أو يحذف حتى فاصلة من الاتفاق الذي كان بالواقع اتفاق على اللبنانيين وليس بينهم.

أما الرفض فلم يكن للإصلاحات أو بالأحرى للتعديلات المجحفة التي جاء بها الاتفاق في جوانب كثيرة، حيث كان بالإمكان إعادة النظر فيها من قبل مجلس نواب شرعي منتخب بحرية من قبل الشعب، وإنما الرفض كان للشق المتعلق بالقوات السورية ودور سوريا في لبنان. لقد رفضت سوريا في حينه (وهي ما زالت على موقفها هذا) وكذلك فارضو الاتفاق تحديد مدة بقاء القوات السورية أو جدولة خروجها تاركين الأمر برمته معلقاً حيث أنيط بحكومتنا البلدين. وما قد أثبتت العشرة سنين الماضية عقم هذه الهرطقة، كما أثبتت بما لا يقبل الشك صحة توقعات حكومة العماد عون وصدق موقفها الوطني الراض للاتفاق لأن أي حكومة لبنانية معينة من قبل سوريا لا يمكن أن تطلب منها سحب جيشها ورفع هيمنتها، ومواقف الحكومات المتعاقبة على الحكم منذ عام ١٩٩٠ لجهة سحب الجيش السوري هي خير دليل على صواب موقف الرفض العوني. إن أياً من هذه الحكومات المعنية جميعها من قبل سوريا كما الرؤساء والوزراء والنواب وكافة الرسميين لم تتجرأ على فتح هذا الملف.

نحيي كل القيادات التي اتخذت مؤخراً مواقف وطنية واضحة وجازفت بالكثير بعد أن ثبت لها عملياً أن "سوريا البعث" لا تريد تنفيذ اتفاق الطائف ولا أي اتفاق آخر يعيد للبنان سيادته وحرية واستقلاله، وبعد أن انكشفت الحقيقة وهي أن سوريا لا تريد سحب جيشها أو الاعتراف باستقلال لبنان ووضع حدّاً نهائياً لأطماعها التوسعية. تحية لطلاب لبنان حاملي مشعل الحريات، وتحية للمعتقلين اعتباطاً في السجون السورية الذين يدفعون يومياً ضريبة الاحتلال والمواقف التخاذلية لكل من متولي الحكم وبعض القيادات الزمنية والدينية، وألف رحمة لأرواح الأبرياء الذين قضوا في سجون لبنان وسوريا بسبب التعذيب ونخص منهم ابن رميش بركات سعيد العميل وابن القليعة جريس سعيد شفيق. أما التحية الكبرى فهي لسيد بكركي غبطة البطريرك صفير الذي صبر صبر أيوب قبل أن يقول للسوريين كفى لم يعد باستطاعة شعبنا أن يتحمل، ارحلوا مشكورين، فجمع من حوله كل لبنان ليثبت مرة أخرى أن بكركي التي أعطيت مجد لبنان هي لكل اللبنانيين، وكما أسس البطريرك الحويك استقلال لبنان فإن البطريرك صفير قرر أن يستعيد هذا الاستقلال من الذين صادروه باسم الأخوة، أخوة قايين. إن الضحية لا يمكن أن تتوقع الرحمة من جزاها ما دامت رقبتها ممددة أمامه وبيده هو السكين. أن الشعب اللبناني صبر طويلاً وقد قضى الكثير من أفراد صبراً، ولكن وكما جاء في الحديث الشريف: "فإن من مات صبراً، فقد مات شهيداً".